في حوار عمره ٢٠ عاما

نور الشريف تحدث عن الشجرة التي لا ترويها إلا الدماء

قبل ٢٠ عاما وفي عام ١٩٩٧، التقيت الفنان الكبير نور الشريف خلال مهمة صحفية إلى البحرين لحضور فعاليات مهرجان الخليج للإنتاج التلفزيوني، ومنذ ذلك التاريخ ظلت روح ذلك اللقاء حاضرة معي في مشواري الصحفي، حيث إطلالة الرجل التي لا تنسى، وأخلاقه التي أذابت المسافة، بين صحفي وفنان شهير، وقد كان حديث الدراما العربية، حيث قدّم للتو مسلسل عمر بن عبدالعزيز، وما أحدثه مسلسله الحاج متولي من جدل كبير في محيط الأسرة العربية . .. ويوم أن رحل النجم نور الشريف أحسست أن نجما حقيقيا غادر سماء الفن العربي، فصاحب البصمات الفنية الكبيرة ليس ممثلا عاديا، بل إنسانا ومثقفا، يخلص في أداء الشخصية حتى ننسى أن هذا ممثل يقدم عملا دراميا، كأنما نشاهد الخليفة عمر بن عبدالعزيز مهابة، وهارون الرشيد تاريخا وجدلا.. وسواق الأتوبيس أسلوب حياة وبؤس..

في هذا العدد من «التكوين» وبعد مرور عامين على رحيله أعود إلى أرشيفي القديم، مستخرجا هذا الحوار الصحفي، مستعيدا نشره، لقاء بقي في الذاكرة، وفنان لن تنساه.. الذاكرة.

حاوره: محمد بن سيف الرحبي

نور الشريف في مسلسل الحاج متولي

الفنان نور الشريف، نبدأ من وجودك في مهرجان الخليج للانتاج التلفزيوني هل هو حضور شرفي ام ان هناك صيغة معينة لتواجدك كفنان عربي كبير وما هي نقاط الضوء والاعتام التي لاحظتها؟

وجودي هو حضور شرفي، انا اهتم بالحضور في معظم المهرجانات العربية، أولا لأنني احب ان اشاهد الاعمال التي من الصعب مشاهدتها في القاهرة، وللاسف جئت متأخرا فلم تتح لي فرصة مشاهدة اكبر عدد من الاعمال وللاسف فإن مدة المهرجان قصيرة جدا الا اذا كانت لجان التحكيم شاهدت الاعمال قبل بداية المهرجان وكنت اتمنى ان تكون في المهرجانات قاعات العرض للاعمال المشاركة فانا كضيف شرف للمهرجان وايضا بالنسبة للنقاد والمتابعين والجمهور لم تكن امامنا فرصة ان نشاهد الاعمال المشاركة، وكانت لدينا في مهرجان القاهرة للتلفزيون قناة خاصة لعرض الاعمال المشاركة الامر الذي خلق انطباعا شعبيا بوجود مهرجان، فالغرض من المهرجان اضافة الى لقاء الفنانين والمنتجين والمخرجين هو عرض هذه الاعمال على اكبر قدر من الناس، وهذا ما افتقدته فلا توجد صلة بين الفنان وجمهوره لمناقشة ما قدمه لهم وبالتالي مشاركة الجمهور في التقييم العام، طبعا من الصعب عرض مسلسل من خمس عشرة حلقة

■ ان تبدأ خطوتك الاولى على يدي اساتذة كبار يساهم ويضع الانسان على الطريق الصواب

ولكن يتم اختيار خمس حلقات متفرقة منه عن طريق المخرج او المنتج لعرضها للناس.

عملان ناجحان

دعنا نتجه قليلا الى شخصيتي عمر بن عبدالعزيز وهارون الرشيد، هذه الفانتازيا التاريخية كيف هي رؤيتك الخاصة لها، ومعايشتك لها وانت تقتحم عالمها في ظل الاعمال التي قدمتها والتي اختلفت في نمطيتها عما كان في هذين العملين؟

دراستي المسرحية كوني خريج فنون مسرحية ولدينا في المعهد ٩٠٪ من الدراسة لغة عربية و٩٠٪ من تلك النسبة نصوص اجنبية لشكسبير ومن الكلاسيكية الحديثة كورنية وراسين الى ان نصل إلى المسرح الحديث في اوروبا وامريكا اضافة الى دراسة السنة الاولى للمسرح الروماني والشخصيات الاسطورية ومعاشرة هذه النوعية من الاعمال اعتبره درسا على كافة المستويات سواء في التاريخ كونه صحيحا ام لا ودرسا آخر في ممارسة المهنة لصعوبة النص المكتوب، في المسرح القديم كانت في بنى العرض مونولوجات طويلة وهذه تحتاج الى براعة في الاداء، التدريب في المسرح هو الذي جعلني اعشق هذه النوعيات من الشخصيات التاريخية واحب اللغة العربية وبرأيي ان هناك الكثيرين يسيئون الى اللغة العربية حين يمثلون بها، اما ان يبالغوا في نطق الحروف والافتعال وبحسن نية معتقدا ان ما يفعله يؤثر في الناس كثيرا فيجعلهم ينفرون منها، فقبل مسلسل عمر بن عبدالعزيز كان هناك اول مسلسل تاريخي اعمل فيه هو ابن خلدون من انتاج الشركة العربية للانتاج الاعلامي ومنع في مصر والدول العربية وتم عرضه في دول اخرى، ثم قدمت شخصية عمر بن عبدالعزيز في مسلسل اذاعي كتبه عبدالسلام امين عن كتاب للراحل عبدالرحمن الشرقاوي بعنوان عمر بن عبدالعزيز خامس الخلفاء الراشدين، ومن ثم تحمست ان اعمله فيلما فاجريت اتصالات مع اكثر من هيئة من الذين يهمهم النشاط الاعلامي الاسلامي في العالم العربي ولم يصلني رد الى الآن، وطلبت من التلفزيون المصري ان ينفذ كمسلسل رغم حلمي ان يكون فيلما والحمدلله ان تحققت الامنية الاولى، ان هذا المسلسل جاء في وقته حيث هناك حملات ضارية ضد

ممارسة الفن كاحتراف بحاجة الى وعي شديد وتزود دائم بالثقافة

الازمة الاقتصادية انعكست على الرومانسية فارتفع متوسط سن الزواج وهذا يمثل خطورة كبيرة

الاسلام متخذا البعض شعار ان شجرته لا ترتوي بالدماء، المسلسل محاولة للدفاع عن جوهر الدين الحقيقي، يحزنني ان تثار نقاط شكلية صغيرة يتم فيها استهلاك اهتمامات الناس بينما امور الدين لا يتم الاقتراب منها واهمها العدل الاجتماعي، فعمر عبدالعزيز صورة مشرفة كمحقق للعدل الاجتماعي وابرز مثال على ذلك تعيينه خادما للضرير الذي ليس معه اسرة يقوده في الطريق ويخدمه في البيت على حساب الخزانة العامة وهذا ليس موجودا الآن حتى في السويد اغنى دولة في العالم، وخلال ثلاثين شهرا هي فترة حكم الخليفة عمر اختفى الشحاذون والمحتاجون في امبراطورية واسعة، في هذا العمل سعيت الى هذه الشخصية للمساهمة في الدفاع عن قضية كبرى لإيماني ان للفن رسالة لا بد ان يقوم بها وكان رد الفعل في مختلف بلدان الوطن العربي عظيما.

ماذا عن شخصية هارون الرشيد؟

في هذا المسلسل سعيت لتبرئة ذمة هارون الرشيد امام التاريخ ففي كل الاعمال التي قدمت عنه ارى –وهذا الرأي استمده من كتاب التاريخ – انه عن عمد تم تشويه صورة هارون الرشيد وبسوء نية، وابلغ دليل على ذلك هو كونه احد ابطال الف ليلة وليلة التي هي مترجمة عن الفارسية فكيف يكون بطلها وهذا دليل الدس وكان شغلي الشاغل ان تكون هناك اعادة قراءة للتاريخ لجيل الشباب لكن دون مبالغة في الدفاع، بل ابحث في المراجع وما يهديني اليه عقلي ككاتب ومؤلف وان اضع الحقائق امام الناس والمشكك فيه نتجنبه، ومن ردود الفعل التي اشعرتني بضيق هو أن احد الاشخاص قرأ كتابا واحدا عن هارون الرشيد يتصدى للهجوم على العمل ان به اخطاء تاريخية والبعض يقول ان تلك النقطة خطأ فلما احيله الى المرجع الذي استقيت منه المعلومة يصمت لانه سمع فقط من هذا وذلك دون ان يتروى في إصدار الحكم، وزاد آخر على ذلك هو انني سمعت ان هناك من سيعيد انتاج عمل اخر عن هارون الرشيد وانا فرحت بشرط ان يتجنب ما قلناه ويضيف شيئا لم نقله ولا يكون اهدارا للمال العام في تكرار ليست له قيمة والمشكلة ان من هاجمني هو الذي يراجع النص الجديد وهذا اثار داخلي شبهة وهو انني اروج لافكار خاطئة وهناك من يرى ان العمل الجديد هو من يروج لتلك الاخطاء، وبعيدا عن عبدالسلام الرشيد أو ضده، نعم هناك اشياء تجاوزناها لكن المؤلف لم يغير في الحدث التاريخي، مثلا شخصية ابنه احمد الذي عرف باحمد السبتي الذي لا يعمل الا يوم السبت نكاية في اليهود وهو من امرأة فقيرة وفي المراجع ذكر انه مات في السادسة عشرة من عمره اما المؤلف عبدالسلام امين فكتب انه مات ما بعد العشرين وفي كتب التاريخ لم تذكر ان هارون قابل ابنه ورغم علم الابن ان هارون الرشيد هو والده الا انه رفض مقابلته فيتخيل المؤلف ان هارون التقى ولده احمد فهذه القضية لا تمثل شيئا في المسار التاريخي الا انه من الجائز ان يكون ذلك وقع ولم تذكره كتب التاريخ فلا يوجد تاريخ صحيح مثبت.

الثقافة والدور الفعال

ينظر الى نور الشريف الى انه نموذج للفنان المثقف والواعي وما زاد عليه في اعماله التاريخية هو ذلك الحس القومي والديني الذي يرتقي بصورة الفنان الى مرتبة جميلة. هذه الصورة كيف وصل اليها نور الشريف؟

يوجد شيء مهم جدا في الحياة هو البداية، ان تبدأ خطوتك الاولى على يدي اساتذة كبار وهذا يساهم ويضع الانسان على الطريق الصواب وانا ادين في هذا لاستاذي جميل الالفي والراحل عبدالحميد فهمي وهناك مدرس امريكي كان يعلمنا التمثيل الصامت، كل هؤلاء ادين لهم بالكثير، هم علموني ان الفن رسالة وله دور في المجتمع وان ممارسة الفن كاحتراف بحاجة الى وعي شديد وتزود دائم بالثقافة ومن حسن حظي انني بعد التخرج ولدت فنيا في مسلسل اجتماعي من اخراج محمد فاضل وهو مخرج ملتزم وهناك اثنان من الكتاب هما مصطفى كامل وعاصم توفيق وكانا مستشارين في القضاء، وكان المسلسل يعرض بعد نكسة ١٩٦٧ وكانت نبرة النقد السياسي والاجتماعي فيه عنيفة جدا، ولمدة خمس سنوات شاركت في هذا العمل وما وصلت اليه حاليا لا ادين فيه

حوار عمره ٢٠ عاما

في أفلامك القديمة كانت لديك صرخة قوية ضد الظلم والقهر الا ان هذه الصرخة احسها بدأت تخفت في أعمالك الأخيرة؟

خلال السنوات الاربع الماضية تعرضت لأزمة نفسية في الوقت الذي كانت فيه ازمة السينما فلا توجد خيارات متاحة في ظل العمل السينمائي العادي وبالتجربة وعن وعي انت في السينما لو توقفت عن ممارسة العمل السينمائي ليس في أعمال رديئة ولكن الحد الأدنى المتوسط ولا أقل عن المتوسط تكون خارج الساحة نهائيا، في ظل الحالة الخاصة بي وأزمة الانتاج قد تكون سببا لهذا الاحساس لديك لكنني اعدك وكل من يتابع اعمالي انه في عام ٩٧ ستشاهدون اعمالا سينمائية لي مميزة جدا واخص بالذكر فيلم المصير عن ابن رشد، وايضا خفوت النبرة ليس تراجعا في الرأي ولكنني احسست انه في الاعمال التي تنتقد الواقع وكنا ننصر الشر في نهاية الفيلم حبطت الكثيرين من الشباب وقبل ان يموت عاطف الطيب عملنا مجموعة افلام ينتصر فيها بطل الخير واعتقد ان هذا مهم بشرط الا تكذب على الناس مثلما يحدث في السينما الامريكية والهندية لتبيع حلما مؤجلا وانما لتقول انه من الممكن ان ينتصر الخير، مثلا فيلم «ضربة معلم» واصور حاليا فيلم «عفريت النهار» عن انسان يدافع عن امرأة لا يعرفها وبدأت عن قصد اعمل لاحياء القيم التي بدأت تندثر بحجة تطور العصر وهذا دور الفن في المجتمع.

إلى أي دور لعبت ملامحك في ابتعادك مؤخرا على الاقل عن افلام الرومانسية لتقترن بافلام العنف والقوة؟

ملامح الممثل آخر اهتماماتي، عملت اهم فيلم عن الحب هو فيلم حبيبي دائما وهو من انتاجي وكانت معي بوسي ومن اخراج حسين كمال، وهذا الفيلم من انجح افلام الرومانسية، الحب لم يبق في حياتنا مثل الاول.

هل انتهى وقت الرومانسية وبالتالي على السينما ان تؤكد ذلك؟

الحب لم ينته وانما اخذ شكلا آخر، زمان كان على الولد ان ينتظر حبيبته ستة اشهر ليقابلها اما الآن فانه يقابلها في اليوم الثاني ومن الممكن نفس اليوم، العلاقات أصبحت اكثر جرأة، الازمة الاقتصادية انعكست على الرومانسية فارتفع متوسط سن الزواج وهذا يمثل خطورة كبيرة ولك ان تتخيل فتاة في قمة الثورة الجسمانية والروحية تظل مؤجلة احلامها لسنوات عديدة ونفس الحال بالنسبة للشباب، هنا الحب اخذ شكلا اخر ولو وجدت من يتناول هذا الحب المجهض سوف اعمله لانني جزء من هذا الواقع.

أزمة التكرار

ألا ترى أن السينما العربية ونخص بذلك السينما المصرية تعاني من التكرار؟

السينما العالمية تعاني من هذا المرض وليس في مصر، يأتي شخص ذكي يقدم عملا يمثل نغمة جديدة فينجح، السينما بعد ذلك تعمل على هذه النغمة لمدة خمس سنوات كافلام الخيال العلمي وروكي ورامبو وافلام الكوارث، ينهض تيار وبعد ان يحدث تشبّع من هذا التيار يولد آخر وهكذا، وما يحدث في مصر هو مصغر لما يحدث في العالم، فالسينما قطاع خاص فاذا نجح تيار فإن هناك من يقلده.

ولكن هناك قضايا لم تطرح عربيا كما حدث في السينما الامريكية او الهندية اي ان كل الافكار لم تستهلك؟

السينما في المقام الاول تسلية وانا وجيلي من غير السينما المصرية مع احترامي لتجارب بعض الجيل السابق كيوسف شاهين وصلاح ابو سيف وبركات في بعض افلامه القديمة، فقط لا غير، وتوفيق صالح وقديما كمال سليم، بداية ارتباط السينما المصرية بالواقع بدأ في الستينات، نحن قمنا بدور فعال وهذه النقطة تحسب لجيلنا لكن من المهم القول ان الافلام التي قدمناها بقي نجاحها الجماهيري اقل من تلك التي تهدف الى التسلية فقط، واعفني من ذكر اسماء، هناك افلام بسيطة وساذجة الى درجة مخجلة حققت نجاحا جماهيريا للاسف الشديد، حتى الشركات الانتاجية في امريكا تحترف نوعية افلام رامبو وما شابهها ولكنها من عشرات الافلام تقدم فيلما عن موزارت مثلا كقيمة سينمائية عالية بعيدا عن الارباح المؤكلة الى افلام البطل الذي يقتل جيشا لوحده.